(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

دارت الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة تحت انظار الدولتين العملاقتين وبمراقبة تامة منهما . وفي الوقت الذي احتدمت فيه المعارك على الجبهتين المصرية والسورية كانت موسكو وواشنطن تفكران بأن عليهما ان تضعا في الحسبان امرين مهمين : ١ — التصرف بحذر خشية ان تجرهما حرب الشرق الاوسط الى مجابهة مباشرة ، ٢ — ان من الممكن تحويل الحرب الى مدخل ملائم للسلام اذا ما تم وقف القتال في لحظة تلائم الطرفين المتحاربين . وكانت كل دولة من الدولتين تفكر بالسلام على طريقتها ووفق مفاهيمها . ولم يكن السلام الامريكي المنشود المبني على تهدئة المنطقة والحفاظ على أمن وسلامة اسرائيل (وفق المفهوم الاسرائيلي المبني على اسرائيل قوية وحدود آمنة... الخ) وتصفية قضية الشعب الفلسطيني، مشابها للسلام السوفييتي المبني على العدل واعادة الارض العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ كاملة الى أصحابها ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ولقد كان هناك احساس واضح بأن الحرب الدائرة ستبقى محدودة ، وبأن الدولتين العملاقتين ستحددان حجم الانتصارات ، وبأن الاتحاد السوفييتي لن يسمح بأي حال من الاحوال بانهيار الجبهات العربية على غرار حرب ١٩٦٧ ، كما لن تسمح الولايات المتحدة بانهيار اسرائيل بشكل كارثوي .

ولقد حكم هذا الموقف الدولي بشكل او بآخر النقاط العسكرية التالية :

١ — محدودية الحرب ، ٢ — الجسران الجويان السوفييتي والامريكي والامدادات العسكرية التي تدفقت بعد ذلك عن طريق البحر ، ٣ — مسألة اختيار لحظة وقف اطلاق النار بقرار مجلس الامن، ٤ — التهديد السوفييتي لاسرائيل بعد تجاهلها لقرار وقف القتال والرد على ذلك باعلان حالة الطوارىء في صفوف القوات العسكرية الامريكية في جميع انحاء العالم بما في ذلك الوحدات والقواعد الذرية . نلقي الان هذه النقاط الاربع بالتفصيل :

١ — تمثلت محدودية الحرب في الجانب العربي بمحدودية الخطة ضمن اطار تحرير الاراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وبعدم الاندفاع المصري في سيناء في المرحلة الاولى للحرب بشكل يستفز الولايات المتحدة الامريكية ، وبمحدودية العنف في استخدام الاسلحة وعدم اللجوء الى القصف بالعمق للرد على القصف بالعمق رغم قدرة الطيران العسربي والصواريخ العربية بعيدة المدى على تنفيذ هذه المهمة ، وبمحدودية استخدام البحرية والغواصات بصورة خاصة لتحقيق الخنق الاستراتيجي البعيد . أما على الجانب الاسرائيلي فقد استغل العدو هامش المحدودية قليلا ، نظرا لاستناده الى الدعم الامريكي الذي يضمن له عدم التعرض لضربة سوفياتية ، فقام باستخدام الطيران لقصف المدن والمنشآت الحيوية الاقتصادية ، وتجاوز خطوط وقف القتال لعام ١٩٦٧ في مصر وسورية ، ولكن آثار المحدودية تظهر حسب ادعاء الاسرائيليين في اضطرارهم تحت تأثير الضغط الامريكي لقبول وقف القتال وعدم الاندفاع نحو الغرب والشمال الغربي بعد عبور القناة لتطويق الجيش المصري الثاني ، كما تظهر في قبولهم بتموين الجيش الثالث المحاصر في منطقة السويس . ففي ٣٠ تشرين الاول تحدث وزير دفاع العدو موشي دايان عن قضية تموين الجيش الثالث امام الكنيست ، وقال بأنها لا ترتبط بقضية الاسرى ثم أضاف : « اننا وافقنا على تموين الجيش المصري الثالث لانه لم يكن لدينا أي خيار في ذلك والواقع انه لم يكن لدينا ذخيرة ولا يمكن ان نخوض الحرب من دون ذخائر » ... « يجب ان نفهم اننا لا يمكن ان نسترد الاسرى عن طريق الحرب والذين يطالبوننا باستئناف القتال من دون ان نتمتع بالتأييد السياسي والمادي للولايات المتحدة يجب ان يعلموا اننا من دون هذا التأييد لا يمكن ان نربح الحرب » (رويتر — وصف ١٩٧٣/١٠/٢٥) . وفي يوم ٢٢ علق الجنرال حاييم هرتسوغ على وقف القتال بقوله « ان النزاع بيننا قد خرج من النطاق الاقليمي واصبح موضوعا بين الكتلتين الكبيرتين . وكما كان الوضع في الماضي عندما اتفقت الدولتان الكبيرتان فيما بينهما عام ١٩٤٨ على تأمين دولة اسرائيل ، وعام ١٩٥٦ على انسحاب الجيش الاسرائيلي من سيناء ، هكذا اليوم ايضا يجدر ان نفهم انه طالما ان الدولتين تتبعان موقفا موحدا فان هذا يخلق وضعا يجعل مجال المناورة لدى